YFCSS
مركز المستقبل اليمني
للدراسات الاستراتيجية
Yemeni Future Center for Strategic Studies
عَقدٌ من الحرب في اليمن
ماذا بعد ؟
خالد اليماني
وزير الخارجية اليمني السابق

عَقدٌ على الحرب في اليمن

ماذا بعد ؟

*** خالد اليماني**
وزير الخارجية اليمني السابق

مع انتهاء هذا العام سيدخل اليمن العقد الثاني من أزمته الوجودية، فيما يتواصل تشرذم وتشظي الدولة وانهيار حتى أبسط قيم ومقومات الحياة.

حملت معي هذه الصورة خلال الأسابيع الماضية خلال زيارتي إلى السعودية عاصمة القرار العربي، ومركز الحل والعقد في الأزمة اليمنية وكل الأزمات الإقليمية، وحملت معي أيضاً قراءات من المشهد اليمني في أميركا ومقاربة إدارة الرئيس بايدن المضطربة للأزمة اليمنية التي تفجرت في وجهه أخيراً جراء اجتياح إسرائيل الوحشي لغزة، في وقت حرج على بعد أشهر من الانتخابات الرئاسية.

ويدرك مطلعون على الشأن اليمني كمّ الرسائل المتضاربة التي خرجت من واشنطن خلال الأعوام الماضية، وآخرها مقاربة التعاطي مع المغامرات الحوثية في البحر الأحمر وخليج عدن والتي تتسع كما يراد لها من سادة الحوثيين في طهران، لتمتد وعلى لسان قادة "الحرس الثوري" في تصريحاتهم الإعلامية لتشمل إغلاق مضيق جبل طارق واستهداف أجزاء واسعة من المحيط الهندي.

ولم تكن الإدارة الأميركية الحالية منذ يومها الأول لتضع الحوثي في قائمة أعدائها، فقد رأت فيه دائماً شوكة في خاصرة الأنظمة الإقليمية تدفعها نحو الارتهان لحماية واشنطن حتى تحولت الولايات المتحدة اضطراراً إلى الخصم المباشر للحوثيين في البحر الأحمر بعد أن باشروا أعمالهم الإرهابية المهددة للملاحة الدولية.

وقد شربت واشنطن من الكأس ذاته الذي جرعته للشرعية والتحالف في "اتفاق ستوكهولم"، بإجهاض مشروع استعادة كامل الساحل الغربي وتحرير الحديدة، واليوم تواجه القوة العسكرية الأقوى في العالم الفشل في تحقيق الأهداف المتواضعة التي رسمتها لمهمتها في البحر الأحمر وخليج عدن لردع الحوثيين الذين باتوا يواصلون تجارب تطوير قدرات الحرس الثوري، متمددين في الممرات المائية الدولية التي حولوها إلى حديقة خلفية لمغامراتهم الصبيانية، فيجمعون الفدية تارة ويلوحون بمزيد من التصعيد تارة أخرى، وربما يصل بهم الحال إلى الاعتداء على العواصم الأوروبية مستقبلاً، وهذا ما قلته مراراً في الماضي.

وخلال الأعوام الماضية من عمر الإدارة الحالية ظلت أروقة واشنطن تركز على عدم جدوى التصعيد ضد الحوثي ووضعه في خانة الخصم، وذلك بعد مقاربات مختلفة من الإدارات السابقة بدأت أيام الرئيس أوباما التي لطالما كررت بيقينية أمام مسامع العالم بعدم تبعية الحوثي لطهران، لتصل اليوم ربما إلى قناعة معاكسة بأن الحوثي ربما يكون العميل الإيراني الأكثر انصياعاً لأوامر "الحرس الثوري"، أكثر بكثير من "حزب الله" العميل الأول لمشروع التوسعية الإيرانية في المنطقة.

الحوثي وإرهاب "داعش" و"القاعدة"

وأخيراً برز صوت واضح داخل الأروقة الأمنية والعسكرية في واشنطن منادياً بضرورة التعاطي مع الظاهرة الحوثية باعتبارها ظاهرة إرهابية، مثلها مثل "داعش" أو "القاعدة" والعمل في ضوء الخبرات العملياتية المتراكمة للقيادة المركزية الأميركية في الشرق الأوسط، وقيادة العمليات الخاصة بمكافحة الإرهاب لاستهداف قيادات الحوثيين على الأرض، وهي العمليات التي استمرت خلال أزيد من عقد وأدت إلى تضاؤل قدرات تنظيم القاعدة في اليمن وصولاً إلى تحويل من تبقى من عناصر التنظيم إلى وكلاء محليين في الصراعات الداخلية، فتارة يقاتلون مع الحوثيين وتارة أخرى يظهرون هنا وهناك ضمن صراعات الفصائل المختلفة.

الدور المربك في "المجلس" اليمني

كما دعت هذه الرؤية إلى تقديم الدعم للشرعية اليمنية وتعزيز قدراتها العسكرية لصد أية محاولات حوثية لاستكمال السيطرة على اليمن، إلا أن الإدارة الأميركية تحت ضغط الانتخابات وإسرائيل وغزة لا تزال مترددة في اعتماد مقاربة تصفية الإرهاب الحوثي، مفضلة ترك الأمر برمته للإدارة المقبلة وهي تتطلع جاهدة لنهاية حرب غزة، وبالتالي فإن وقف الحوثي لعملياته في البحر الأحمر وخليج عدن وما بعدهما ينهي مصادر القلق التي تتهدد الملاحة الدولية لتعود الأساطيل لقواعدها وتترك الحوثي يعربد في المنطقة، وفي الواقع فإن الحوثي لن يتوقف عند هذه النقطة فهو مثل العفريت الذي خرج لتوه من غياهب القمقم حيث كان محبوساً.

الحكمة والصبر ديدن الزعامة

حينما وصلت الرياض بدت لي كأنها عروس متجددة في تسابق مع التغيير، فقد كانت في اليوم الذي سبق وصولي تجمع قادة العالم في أول اجتماع للمنتدى الاقتصادي العالمي خارج سويسرا، ومن خلال مطالعة الإعلام اتضح لي حجم تلك التظاهرة العالمية خارج "دافوس" والتي جمعت أكثر من 1000 من قادة العالم حول محاور عدة، مثل التعاون الدولي والتنمية والطاقة والأمن.

تصورت أنني لن ألقى من يحدثني عن تطورات الأزمة اليمنية لأجد أن الاهتمام السعودي بالتطورات اليمنية لم يبهت مطلقاً، وتحديداً بعد التغييرات التي أدت إلى بروز مجلس القيادة الرئاسي قبل عامين، والتوصل إلى توافق الأطراف اليمنية نهاية العام الماضي إلى توافق حول خريطة الطريق للخروج من الأزمة، بحسب بيان المبعوث الدولي هانس غروندبرغ.

وبموازاة انشغالاتها التنموية الكثيرة ومشاريعها الجبارة التي تعلن عنها تباعاً وآخرها خلال الأيام القليلة الماضية إطلاق مشروع جاومور على ساحل خليج العقبة ضمن مشاريع "نيوم" العملاقة، والذي تابعت تفاصيله المبهرة في رحلة العودة على الخطوط السعودية، ظلت القيادة السعودية منكبة لحلحلة الإشكالات الإقليمية الكثيرة وتوسيع الشراكات والتعاون متعدد المنافع، ممسكة بأفضل خيارات العرب وقضيتهم المركزية قضية الشعب الفلسطيني وحقة في قيام دولته المستقلة.

وفي الملف اليمني تواصل الرياض بمزيد من الصبر الحكيم وبعيداً من الأضواء الكاشفة، وضع قطع أحجية المشهد وتجميع أشلائها المتعددة وربط بعضها بعضاً لإعادة ألق شقيقتها الجنوبية والإسهام في تعافيها.

وبالمقاربة الحكيمة ذاتها تطور الرياض مقاربتها للانتقال إلى لعب دور الوسيط الإيجابي الفاعل في الأزمة اليمنية، وهي أيضاً تنتظر نهاية كابوس غزة الذي يؤرق العرب والعالم لتعود الأطراف اليمنية لبحث الخطوات التنفيذية لخريطة الطريق لوضع البلاد على عتبة الخروج من عقد كارثي كانت صراعاته العدمية التي شكلت نكبة كبرى على اليمن وأهله، وهي تبدي استعدادها لتقديم الغالي والنفيس لليمنيين إذا ما توافقوا للسير معاً في طريق السلام، وليست على استعداد لتقديم الدعم لأجهزة فاسدة، وهي تكتفي حالياً بالعمل من خلال مؤسساتها للعون الإنساني وإعادة الإعمار.

ومن خلال ما سمعته يبدو أن الحوثي لا يزال يتطلع إلى الدخول في المبادرة التي تقودها السعودية في مقابل الحصول على الموارد الضرورية لتمويل الأعداد الكبيرة من العناصر المسلحة التي لم تعد منشغلة بالقتال في الجبهات المختلفة، وبات شغلها الشاغل الضغط على قيادة صنعاء جنباً إلى جنب مع مئات آلاف العاملين في الخدمة المدنية والعسكرية الذين انقطعت أرزاقهم منذ عام 2015.

وهناك أمر آخر سيبحث في متابعاتي اللاحقة للملف اليمني في ضوء زيارتي القصيرة للرياض، وهو شأن داخلي يرتبط باحتمالات نشوب حرب داخلية حتى بعد التوصل إلى اتفاق سلام، مما يطرح الأسئلة الكبيرة حول مدى جهوزية القوى الوطنية المنضوية تحت مظلة مجلس القيادة الرئاسي لمواجهة تطلع الحوثي لمعاودة محاولات دخول مأرب، والسعي إلى السيطرة على حقولها ومصافيها النفطية، مما سيوافر لهم امتيازات مالية للتحرك نحو الجنوب.

والمهم أن المعادلة السعودية دقيقة في مكوناتها صعبة من زاوية المتفرج، وهو يرى الحكيم يعمل بصبر أيوب لجمع مكونات عقد من الأزمات اليمنية المركبة، ليوفق بين عاشقها ومعشوقها في فن النجارة الشرقي الفريد، فيما يدير بنفس طويل العلاقة المتغيرة مع الحلفاء والخصوم وأهوائهم المختلفة والمتغيرة دائماً، ولكنها السعودية وخبرة أزيد على 100 عام من التفاعل مع الجوار اليمني، والأيام المقبلة ستأتي بالخبر اليقين.

يتطلع الإقليم والعالم لرؤية الأطراف اليمنية داخلة في الخطوات الأولى لبحث خريطة الطريق التي تم التوصل إليها في نهاية ديسمبر (كانون الأول) الماضي، بعد جهود كبيرة بذلتها السعودية وسلطنة عُمان، وما تلاها من مساعي للمبعوث الدولي لمباشرة خطواتها التنفيذية، إلا أن الأمم المتحدة ترى أن جهودها في اليمن حالياً تشهد تعثراً بيناً، وتعزو ذلك إلى الأثر المدمر للوضع الأشمل في المنطقة، وتحديداً حرب إسرائيل ضد قطاع غزة، مما يحول دون انخراط الأطراف اليمنية في مفاوضات تنفيذية لخريطة الطريق، في إشارة غير مباشرة لعدم جهوزية الحوثيين بعد للانخراط في البحث التفصيلي للتوافقات التي قادتها الرياض.

المراقبون في تقييمهم لما تقوله الأمم المتحدة يمنحون 50 في المئة لاحتمالات نجاح فرص السلام مقابل 50 في المئة لاحتمالات التصعيد في جولة حرب يرجح أن تكون داخلية يتم استبعاد الإقليم منها، فمن جهة يعتقد الحوثي أنه صار الآن بعد مغامراته الأخيرة في البحر الأحمر أكثر قوة وبات بمقدوره معاودة محاولة دخول مأرب وما يليها من غزو الجنوب، وداخلياً يحاول الحوثي بسياسة القبضة الحديدية إسكات الأصوات الساخطة التي باتت مسموعة بشكل أكبر في مناطق سيطرته حول الأوضاع المعيشية وسرقة مرتبات العاملين في الخدمة المدنية.

ومن جهة أخرى، لم تتمكن الأطراف المنضوية ضمن مجلس القيادة الرئاسي بعد مرور عامين من مقررات السابع من أبريل (نيسان) في الرياض من الانسجام فيما بينها لمواجهة المشكلات الحرجة التي تواجه المناطق المحررة، وما زالت مع الأسف تعمل وبإصرار وفق مرجعياتها المختلفة. وتشهد المناطق المحررة، وبالتحديد العاصمة عدن، خلال الفترة الأخيرة بروز سخط شعبي متزايد من الأداء الحكومي الهزيل لحكومات الشرعية الذي اعتراه الفساد وفشل في حل المشكلات المستعصية التي يعانيها السكان.

حاولت بداية هذه المقالة تسليط الضوء على الجهود الكبيرة التي بذلتها وتبذلها السعودية لغلق صفحة الحرب، قبل نهاية العقد الأول لاندلاعها، واستعدادها لتقديم كل ما يلزم لإنجاح المرحلة الانتقالية التي ستتوافق الأطراف اليمنية على شكلها وآلياتها وفق تفاهمات خريطة الطريق. واليوم تعاود الرياض وبقوة جهودها للبناء على ما تحقق في خريطة الطريق، فما هو الوضع على الأرض؟

الحوثي.. ماذا بعد معارك البر والبحر؟

على رغم مغامرات الحوثيين المستمرة في البحر الأحمر وخليج عدن، وتلميح قادة الحرس الثوري الإيراني بتوسيعها لتمتد إلى أعماق المحيط الهندي والبحر المتوسط، إلا أن الحوثيين من خلال تصريحاتهم الأخيرة كانوا إيجابيين في شأن السلام، والسير خلف المبادرة السعودية، والتوقيع على تفاهمات خريطة الطريق لإغلاق ملف الحرب اليمنية ببعدها الإقليمي، مقابل الحصول على الأموال التي تشتد حاجتهم إليها، والفوز بالشرعية التي طالما عملوا من أجلها.

إلا أن الحوثيين في صراعهم الداخلي مع المكونات المختلفة لمجلس القيادة الرئاسي لا يبدون على نفس القدر من الإيجابية. فعلى رغم سريان الهدنة في الحرب اليمنية منذ أبريل 2022 إلا أن المناوشات الحوثية لم تتوقف في نقاط التماس في الضالع ولحج والحديدة ومأرب وصعدة وشبوة وتعز. وخلال الأشهر الأخيرة عزز الحوثيون جبهاتهم المتعددة بميليشيات تم تجنيدها أخيراً، وتحديداً باتجاه مأرب حيث يتطلعون إلى السيطرة عليها بالتالي الاستحواذ على حقولها النفطية، ما يؤمن لهم إيرادات مهمة لتغذية آلة حربهم المستمرة، والسعي لاحقاً للانقضاض على الجنوب وتحديداً مناطق النفط الحيوية.

ومن جهة أخرى لا تزال إيران تزود الحوثي بالتكنولوجيات المتطورة للحرب غير التقليدية، وقد فشلت كل الجهود المحلية والإقليمية والدولية في كبح جماح حركة التهريب والتي تتم بحسب تقارير الأمم المتحدة عبر البحر والبر ومن خلال الأراضي الواقعة تحت سيطرة مجلس القيادة الرئاسي، مستغلة هشاشة الوضع الأمني. ويهدد الحوثي بالانتقال إلى ما سماه بالمرحلة الخامسة من التصعيد في البحر الأحمر وخليج عدن وما بعدهما، والحديث عن أسلحة نوعية متطورة باتت بحوزته.

وتنظر القيادة الإيرانية بإعجاب للدور الذي يلعبه الحوثي في حربها التوسعية في المنطقة، ومساعيها لضرب النفوذ الأميركي، هذا على رغم أن الحوثي يدرك بأنه يعرض اليمن والدول العربية لمخاطر جمة من جراء انخفاض حركة التجارة الدولية بما نسبته 50 في المئة، وارتفاع كلف التأمين على الشحن البحري عبر البحر الأحمر، ما أدى إلى الارتفاع الجنوني للأسعار في اليمن الذي لم يعد بمقدور شعبه الفقير أصلاً شراء سلته الغذائية التي تضاعف سعرها خلال الأشهر القليلة الماضية. حتى وإن

وضعت حرب إسرائيل ضد غزة اوزارها يوم غد، فهل سيتوقف الحوثي عن حروبه الدائمة أم سيواصل إرهابه لانتزاع المزيد من التنازلات؟

هل الشرعية مستعدة لاستحقاقات الغد؟

بعد عامين من تكليفه بمهمة قيادة الشرعية، لم يتمكن مجلس القيادة الرئاسي من تحقيق الانسجام بين مكوناته على رغم الجهود الكبيرة التي بذلها رئيس المجلس الدكتور رشاد العليمي، بالتالي لم يفلح في معالجة المشكلات الحرجة التي تواجه المناطق المحررة. وبعد عامين قام المجلس بتعيين رئيس جديد للوزراء، وتكشف بشكل فاضح حجم الفساد الذي عاشته الحكومة ومؤسساتها المختلفة في عدن، من خلال عدم قدرتها من حل مشكلة الكهرباء التي بات يكتوي بنيرانها سكان عدن عاصمة الشرعية التي يفترض أن تكون اليوم نموذجاً للتصورات العظيمة التي حملها دعاة التغيير في مخرجات الحوار الوطني الشامل. وفشلوا في تنفيذ بند واحد من بنودها الجاذبة، دع عنك أوضاع بقية المحافظات الواقعة تحت مسؤولية هذه الحكومة.

وفيما تتهم الحكومة الحالية الحكومات السابقة بالفساد، برزت أخيراً مؤشرات السخط الشعبي في المناطق المحررة، مع زيادة تفشي وباء الكوليرا، وانهيار المنظومة الصحية، وانتشار المجاعة. وتقول الأمم المتحدة إن التحسن المتواضع في الأمن الغذائي وانخفاض معدلات سوء التغذية بعد إعلان الهدنة في بداية 2022، شهد انتكاسة بعودة مستويات الحرمان الشديد لغلاء الأسعار، وتآكل القدرة الشرائية المرشح بالازدياد خلال الأشهر المقبلة.

وإلى جانب عجز مجلس القيادة الرئاسي في رفع معاناة السكان في المناطق المحررة، فإنه فشل في القيام بأي محاولة لمنع الحوثيين من مهاجمة الممر الملاحي الدولي جنوب البحر الأحمر وخليج عدن، والذي يشكل جزءاً أصيلاً من دفاع المجلس عن السيادة اليمنية، مما يثير الأسئلة حول قدرة المجلس على تحقيق الالتزامات الواردة في إعلان التفويض الصادر في السابع من أبريل 2022.

وخلال السنتين الماضية جمعتني مناسبات عدة للحديث مع رئيس مجلس القيادة الرئاسي، ووجدته منشغلاً في البحث عن أفضل السبل لتوحيد جهود المجلس وتقليل أثر المرجعيات المختلفة على أدائه حتى يتمكن من إنجاز المهمة التاريخية التي ألقيت على عاتقه لتجهيز الشرعية ومؤسساتها ومكوناتها المختلفة لاستحقاقات السلام.

ربما تركزت أكبر إنجازات مجلس القيادة الرئاسي في الحفاظ على الشرعية اليمنية التي يعترف بها المجتمع الدولي. على رغم أنه أخفق في تحقيق الحد الأدنى من تطلعات اليمنيين في العيش الكريم، ومع ذلك يدرك كل أحرار اليمن أهمية الشرعية التي يقاتلون تحت لوائها في مختلف الجبهات، بعمق مقولة المغفور له الدكتور عبدالكريم الارياني الذي قال "لو كانت الشرعية عصا مكسورة في زاوية الغرفة لوقفت إلى جانبها".

الوعد بغد السلام

بعد خمس سنوات من الغياب عدت إلى السعودية، إلى جدة وإلى الرياض، ولم يتسع لي الوقت لزيارة مناطق أخرى في هذه المملكة الكبيرة والمترامية الأطراف، ولكن المدينتين اللتين زرتهما كانتا كافيتين لرؤية شعب كبير منخرط في ورشة عمل لا تتوقف في سباق مع الزمن لتحقيق رؤية 2030 للانتقال بالسعودية إلى مصاف كبرى الاقتصادات العشر في العالم. في الوقت نفسه لم تتوان الرياض في لعب دورها الإيجابي في خدمة القضايا العربية، ولهذا استحقت قيادة العمل العربي المشترك في هذه اللحظة المفصلية من التاريخ العربي.

ومن خلال أحاديثي المختلفة في الرياض وجدة، كان اليمن ولا يزال في قلب اهتمامات السعوديين نظراً للأواصر العميقة التي تربط بين الشعبين، وهم يتطلعون لرؤية اليمنيين يخرجون من نفق الحرب المظلم، وينتقلون إلى التعافي وصولاً إلى الانخراط بورشة التقدم والازدهار الإقليمية التي تقودها السعودية، ويرون أن القرار السعودي بإغلاق صفحة الحرب اليمنية والانتقال إلى لعب دور الوسيط الإيجابي في النزاع اليمني، هو أكثر الخيارات حكمة في هذه اللحظة التاريخية، وهو مقرون باستعداد الرياض لبذل الغالي والنفيس في سبيل سلوك اليمنيين طريق السلام.